الصحيح المسند
من أسباب النزول

بحث أعده

مقبل بن هادي الوادعي

بسم الله الرحمن الرحيم

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مسلمون . «يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تسألون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا » . « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما » .

أما بعد فقد اخترت أن يكون بحثي الذي أقدمه للجامعة الاسلامية فى « الصحيح (١) المسند من أسباب النزول » وذلك لامور منها :

١ ــ ارتباطه بفنين عظيمين وهما تفسير كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اللذين هما أساس ديننا .

٢ ــ ان معرفة سبب نزول الآية يعين على فهم معناها فقد أشكلت بعض الآيات على بعض الصحابة فمن بعدهم حتى عرفوا سبب نزولها فمما أشكل عليهم « ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة » حتى أخبرهم أبو أيوب الانصاري رضى الله عنه بسبب نزولها كما سيأتي ان شاء الله فظهر لهم معناها ومما اشكل عليهم قوله تعالى «الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم » حتى نزل ــ على رواية كما سيأتي ــ « ان الشرك لظلم عظيم » وقد أشكل على عروة قوله : « ان الصفا والمروة من شعائر الله » حتى أخبرته عائشة رضى الله عنها بسبب نزولها .

---

١ ــ أعنى بالصحيح على اصطلاح الاولين ما يشمل الصحيح والحسن كما فى تدريب الراوى ص ٢١ .

٣ ــ هذا ومما حدا بي الى اختيار هذا الموضوع أن أسباب النزول قد دخلها الدخيل كغيرها من سائر الفنون قال الواحدى رحمه الله في مقدمة كتابه أسباب النزول بعد ذكره كلام عبيدة السلماني لما سئل عن آية من القرآن فقال : اتق الله وقل سدادا ذهب الذين يعلمون فيما أنزل القرآن .

أما اليوم فكل أحد يخترع شيئا ويختلق افكا وكذبا ملقيا زمامه الى الجهالة غير مفكر في الوعيد للجاهل بسبب الآية وذلك الذى حدا بى الى املاء هذا الكتاب الجامع للاسباب لينتهي اليه طالبوا هذا الشأن والمتكلمون في نزول القرآن فيعرفوا الصدق ويستغنوا عن التمويه والكذب ويجدوا في تحفظه بعد السماع والطلب الى آخر كلامه رحمه الله ص ٥ .

وقال السيوطي في الاتقان ج ٢ ص ١٩٠ بعد ذكره جماعة ممن يذكرون التفسير بالاسانيد كابن جرير وابن أبى حاتم وغيرهما ثم ألف في التفسير (حلائق) فاختصروا الاسانيد ونقلوا الاقوال تترى فدخل من هنا الدخيل والتبس الصحيح ثم صار كل من يسنح له قول يورده ومن يخطر بباله شيء يعتمده ثم ينقل ذلك عنه من يجيء بعده ظانا أن له اصلا غير ملتفت الى تحرير ما ورد عن السلف الصالح ومن يرجع اليهم في التفسير حتى رأيت من حكى في تفسير قوله تعالى غير المغضوب عليهم ولا الضالين نحو عشرة (١) أقوال وتفسيرها باليهود والنصارى هو الوارد عن النبى صلى الله عليه وسلم وجميع التابعين وأتباعهم حتى قال ابن أبى حاتم لا أعلم في ذلك اختلافا بين المفسرين اهـ المراد من الاتقان قلت وهذا

---

١ ــ وأعظم من هذا ما حكاه الشوكانى في فتح القدير ج ٣ ص ٢٥٤ في تفسير « ويسألونك عن الروح » الآية وقد حكى بعض المحققين أن اقوال المختلفين في الروح بلغت الى ثمانية عشر مائة قول فانظر الى هذا الفضول الفارغ والتعب العاطل عن النفع بعد أن علموا أن الله قد استأثر بعلمه ولم يطلع عليه أنبياءه ولا أذن لهم بالسؤال عنه والا البحث عن حقيقته فضلا عن أممهم المقتدين بهم الى اخر كلامه رحمه الله فراجعه .

الذي حملني على ذكر الاسانيد ما وجدت الى ذلك سبيلا وان كان فيه من المشقة ما هو معروف لدى أهل هذا الفن .

واليك مثالا واحدا يصدق ماقاله هذا الامام من أنه قد وقع التساهل فى نقل ما لم يثبت فى كتب التفسير وهذا المثال هو قصة ثعلبة بن حاطب التي فيها « قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه » وهذه القصة يذكرها المفسرون عند تفسير قول الله سبحانه وتعالى « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين » ويمكن أنه لا يوجد تفسير الا وهي مذكورة فيه وقل من نبه على عدم صحتها أما جهابذة الحديث ونقاده فاليك ما قالوه فيها قال الامام أبو محمد ابن حزم رحمه الله بعد ذكره لها من طريق مسكين بن بكير نامعان بن رفاعة السلمي عن علي بن يزيد عن القاسم بن عبد الرحمن عن أبى أمامة قال : جاء ثعلبة بن حاطب بصدقته الى عمر فلم يقبلها وقال : لم يقبلها النبى ولا أبو بكر ولا أقبلها . قال أبو محمد وهذا باطل بلا شك لان الله تعالى أمر بقبض زكاة اموال المسلمين وأمر عليه السلام عند موته ألا يبقى فى جزيرة العرب دينان فلا يخلو ثعلبة من أن يكون مسلما ففرض على أبى بكر وعمر قبض زكاته ولا بد ولا فسحة فى ذلك وان كان كافرا ففرض ألا يُقَرَّ فى جزيرة العرب فسقط هذا الاثر بلا شك وفى رواته معان بن رفاعة والقاسم بن عبد الرحمن وعلى بن يزيد وهو أبو عبد الملك الالهانى وكلهم ضعفا ومسكين بن بكير ليس بالقوى اهـ . ج ١١ من المحلى ص ٢٠٨ وقال السيوطي فى لباب النقول ان سندها ضعيف وقال الحافظ فى تخريج الكشاف ان فى سندها على بن يزيد الالهانى وهو واه وقال فى الفتح ج ٣ ص ٨ بعد ذكر بعض القصة لكنه حديث ضعيف لا يحتج به اهـ . وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ج ٧ ص ٣٢ رواه الطبراني وفيه على بن يزيد الالهانى وهو متروك . وقال المناوى فى فيض القدير ج ٤ ص ٥٢٧ قال البيهقي فى اسناد هذا الحديث نظر وهو مشهور بين أهل التفسير اهـ . وأشار فى الاصابة الى عدم صحة هذا الحديث فإنه ساق هذا الحديث فى ترجمة ثعلبة هذا ثم قال وفى كونه صاحب هذه القصة

إن صح الخبر ولا أظنه يصح هو البدرى انظر ا هـ كلام المناوى وقال الحافظ العراقي فى تخريج الإحياء ج ٣ ص ٣٣٨ سندها ضعيف وإنما مثلت (١) بهذه القصة لشهرتها فى كتب التفاسير ولان كثيرا من اخواننا المشتغلين بالوعظ والإرشاد وفقنى الله واياهم يستحسونها ويلقونها على العامة غير منتبهين أنها مع عدم صحتها سندا فهى لا تصح معنى اذ فيها مخالفة لأصل من أصول الشريعة وهو أن التائب لو بلغت ذنوبه عنان السماء ثم تاب تاب الله عليه .

---

٤ ــ ومن الدوافع لي على اختيار هذا الموضوع الرغبة فى التعرف على أسرار هذا التشريع العظيم وما فى أسباب النزول من العبر وحل المشاكل التي قد ضاق بها أصحابها ذرعا فيأتي الفرج الالهي وذلك كقصة الثلاثة الذين خلفوا وكقصة الافك وما حصل لنبي الهدى من الاذى بسببه وكذا لام المؤمنين اذ بكت حتى ظن أبواها أن البكاء فالق كبدها. فيأتى الفرج بعد الشدة وكقصة هلال بن أمية اذ رمى زوجته بالزنى فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم البينة أوحد فى ظهرك فقال: والذى بعثك بالحق إنى لصادق ولينزلن الله ما يبرىء ظهرى من الحد فأراد الرسول أن يأمر بضربه فأنزل الله آية اللعان وأبر قسمه وأتى بالعلاج بعد تفاقم الداء فخاب وخسر من ظن أنه يستطيع أن يستغنى عن هذا التشريع الحكيم .

٥ ــ ومنها رجاء الاستفادة من مراحل التشريع فاننا فى أمس الحاجة الى أن نعتبر أنفسنا مجددين وأن نبدأ الدعوة من جديد وفى أسباب النزول الكثير الطيب من بيان مراحل الدعوة والتوجيهات الالهية كاية القتال فانها لم تنزل الا بعد أن علم الله أن لهم اقتدار على القتال الى غير ذلك من الفرق بين المكي والمدني كما هو معروف .

---

١ ــ ولها طريق اخر عند ابن جرير لكنه عن ابن عباس انها نزلت فى ثعلبة بن ابى حاطب وهو غير ثعلبة بن حاطب الا انها مسلسلة بالعوفيين وهم ضعفا فهي ضعيفة جدا .

تنبيه : قد حاولت بقدر الاستطاعة أن أجمع طرق الحديث لما فيه من الفوائد من معرفة وصل الحديث وارساله وصحته واعلاله (١) فرب حديث ظاهر سنده الصحة فى كتاب ويكون فى كتاب آخر معلولا وقد قال ابن الصلاح فى علوم الحديث ص ٨٢ وروى عن على بن المدينى قال : الباب اذا لم تجمع طرقه لم يتبين خطؤه اهـ . واليك المثال على ذلك : قال الحاكم رحمه الله ج ٣ ص ٣٢٤ حدثنا أبو العباس محمد ابن يعقوب حدثنا أحمد بن عبد الجبار ثنا يونس بن بكير عن ابن اسحق ثنا يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن عائشة قالت :

لما جاءت أهل مكة فى فداء أساراهم بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فداء أبى العاص وبعثت فيه بقلادة كانت خديجة أدخلتها بها على أبى العاص حين بنى عليها فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقة شديدة وقال :

ان رأيتم أن تُطْلِقُوا لها أسيرها وتردوا عليها الذى لها فافعلوا قالوانعم يا رسول الله وردوا عليها الذى لها قال : وقال العباس يا رسول الله اني كنت مسلما فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أعلم باسلامك فان يكن كما تقول فالله يجزيك فافد نفسك وبنى أخويك نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وعقيل بن أبى طالب بن عبد المطلب وحليفك عتبة بن عمرو بن جحدم أخا بنى الحارث بن فهر فقال : ما ذاك عندى يا رسول الله قال : فأين المال الذى دفنت أنت وأم الفضل فقلت لها أن أصيبت فهذا المال لبنى الفضل وعبد الله وقثم فقال والله يا رسول الله انى أشهد أنك رسول الله انهذا الشيء ماعلمه أحد غيرى وغير أم الفضل فأحسب لي يا رسول الله ما أصبتم منى عشرين أوقية من مال كان معي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أفعل ففدى العباس نفسه وبنى أخويه وحليفه وأنزل الله عز وجل «يا أيها النبى قل لمن فى أيديكم من

---

١ — وله فوائد أخر منها انه يصرح المدلس بالسماع فى بعض الطرق ومنها بيان المبهم ومنها متابعة الضعيف .

الاسرى ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما أخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم » فأعطانى مكان العشرين الاوقية فى الاسلام عشرين عبدا كلهم فى يده مال يضرب به مع ما أرجو من مغفرة الله عز وجل . هـذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه وأقره الذهبى اهـ .

وقال الهيثمى فى مجمع الزوائد ج ٧ ص ٢٨ رواه الطبراني فى الكبير والاوسط ورجال الاوسط رجال الصحيح غير ابن اسحاق وقد صرح بالسماع اهـ . ثم بعد الاطلاع على سنن البيهقى ج ٦ ص ٣٢٢ ظهر ان قصة العباس مدرجة على هذا السند . قال البيهقى رحمه الله : كذا فيما حدثنا به شيخنا ابو عبد الله فى كتاب المستدرك ثم ذكره الحافظ البيهقي على الصواب مبينا ان قصة العباس لها سند آخر وأنها مرسلة وقال الحافظ فى الفتح ج ٩ ص ٣٨٢ بعد ذكره هذه القصة وفى طريق عطا محمد بن اسحق وليست هذه القصة عنده مسندة بل معضلة وصنيع اسحق يعني ابن راهوية وتبعه الطبرانى وابن مردوية يقتضى أنها موصولة والعلم عند الله اهـ .

وقال فى المطالب العالية ج ٣ ص ٣٣٧ واظن ذلك مدرجا فى الخبر من كلام ابن اسحق وحديث عباس على هذا معضل واما على ظاهر السياق أولا فهو مسند وعلى ذلك عمل اسحق اهـ . والامثلة على هذا كثيرة .

اعتذار : لم آل جهدا فى الحرص على العزو الى أئمة الحديث وكتبهم وقد يضيق على الوقت فأكتفي بالعزو الى بعضهم وربما اكتفيت بعزو بعض المؤلفين اليهم وهذا قليل وربما صعب على الوقوف على سند الحديث اذا كان فى الكتب المفقودة او العزيزة الوجود فان صححه امام تطمئن النفس الى تصحيحه كتبته بدون سند والا توقفت فيه حتى يسهل الله بالعثور على سنده . والله سبحانه أسأل أن يجعل عملى خالصا لوجهه الكريم وأن ينفع بهذا المؤلف الاسلام والمسلمين آمين .

قواعـد أصوليـة

لاسباب النزول قواعد أصولية نشير الى بعضها حسبما رسمه شيخنا محمود بن عبد الوهاب فائد حفظه الله مقتصرين على المشهور منهـا وما لا بد منه رغبة فى الاختصار .

١ ــ تعريف سبب النزول .

سبب النزول يكون قاصرا علي امرين احدهما أن تحدث حادثةفينزل القرآن الكريم بشأنها كما فى سبب نزول «تبت يدا أبى لهب» كمـا سيأتي ان شاء اللـه .

الثانى : ان يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن شيء فينزلالقرآن ببيان الحكم فيه كما فى سبب نزول آيـة اللعان كما سيأتي ان شـاء اللـه .

٢ ــ طريقة معرفته : أما طريقةمعرفته فالعلماءيعتمدون فى معرفة سبب النزول على صحة الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم او عـن الصحابى فان اخبار الصحابى عن مثل هذا له حكم الرفع قاله ابـن الصلاح رحمه الله فى كتابه علوم الحديث :

الثالث : ما قيل من أن تفسير الصحابى حديث مسند فانما ذلك فى تفسير يتعلق بسبب نزول الآية يخبر بهالصحابى أو نحو ذلكقولجابر رضى الله عنه « كانت اليهود تقول من أتى امرأته من دبرها فى قبلهـا جاء الولد أحول (١) فأنزل الله عز وجل «نساءكم حرث لكم» الآية فأما سائر تفاسير الصحابة التي لا تشتمل على اضافة شيء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فمعدود فى الموقوفات . والله أعلم اهـ . ص ٤٦ .

واما قول التابعى نزلت فى كذا فهو مرسل فان تعددت طرقه قبـل والا فلا على الراجح عند المحدثين .

---

١ ــ سياتى تخريجه ان شاء الله .

٣ ــ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب والدليل على ذلك أن الانصارى الذى قبل الاجنبية ونزلت فيــــه ان الحسنـــات يذهبن السيئات الآية . قال للنبى صلى الله عليه وسلم : ألى هذا وحدى يا رسول الله ومعنى هل حكم هذه الآية يختص بى لانى سبب نزولها فأفتاه النبى صلى الله عليه وسلم بأن العبرة بعموم اللفظ فقـــال « بـل لامتي كلهـم » .

أما صورة السبب فجمهور أهل الاصول أنها قطعية الدخول فى العام فلا يجوز اخراجها منه بمخصص وهو التحقيق وروى عن مالك أنهـا ظنية الفصول كغيرها من أفراد العام . أهـ مذكرة أأصول الفقـــه للشيخ محمد الامين الشنقيطى رحمه الله باختصار ص ٢٠٩و٢١٠ .

٤ ــ قد تتعدد الاسباب والنازل واحد كما فى آية اللعان وغيرها من الآيات كما ستجده ان شاء الله فى موضعه وكذا قد تتعدد الآيات النازلة والسبب واحد كما فى حديث المسيب رضى الله عنه فى شأن وفاة ابى طالب وقول النبي صلى الله عليه وسلم لاستغفرن لك ما لم انه عنـه فأنزل الله ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم . ونزل فى أبى طالب « انك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدي من يشـاء » والامثلة على ذلك كثيرة ستمر بك ان شاء الله .

٥ ــ صيغة سبب النزول اما أن تكون صريحة فى السببية وأما أن تكون محتملة فتكون نصا صريحا اذا قال الراوي سبب نزول هـذه الآية كذا أو اذا أتى بفاء تعقيبية داخلة على مادة النزول بعـــد ذكر الحادثة أو السؤال كما اذا قال حدث كذا أو سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كذا فنزلت الآيـة .

فهاتان صيغتان صريحتان فى السببية وسيأتي لهما أمثلة ان شـــاء الله وتكون الآية محتملة للسببية ولما تضمنته الآية من الاحكام اذا قال الراوى نزلت هذه الآية فى كذا فذلك يراد به تارة أنه داخل فى معنى الآيـــة .

وكذا اذا قال أحسب هذه الآية نزلت فى كذا او ما أحسب هذه الآية نزلت الا فى كذا فان الراوى بهذه الصيغة لا يقطع بالسبب فهاتان صيغتان تحتملان السببية وغيرها وسيأتى لهما أمثلة ان شاء الله اهـ .مختصرا من كتاب مباحث فى علوم القرآن لمناع القطان .

(فائـدة)

من القرآن مانزل لسبب ومنه مانزل ابتداء بعقائد الايمان وواجبات الاسلام وغير ذلك من التشريع وانما ذكرت هذا لان بعضهم طالبني فى ذات مرة أن اذكر له سببا آخر لقوله تعالى « ومنهم من عاهد الله » الآية ـ عند أن قلت له ان القصة التي وردت فى ثعلبة ضعيفة . وكذا قوله تعالى (يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا) الى آخر الآيات عند أن قلت لبعضهم ان ما ورد أنها نزلت فى على وفاطمة ليس بصحيح وقـد ذكرها ابن الجوزي فى الموضوعات ووافقه السيوطي قال : فما سبب نزولها فأحببت التنبيه على هذا لئلا يظن من لم يمارس سبب النزول أن لكل آية سببا .

هذا ما تيسر لي وان كنت تريد المزيد فعليك بمراجعة الاتقان للحافظ السيوطي رحمه الله والله أسأل أن يثيب شيخنا المشرف على حسـن توجيهه وتنبيهه على ما وقع من الاخطاء فانه حفظه الله قد أتعب نفسه ولاحظ ملاحظة دقيقة فجزاه الله خيرا وبارك له فى عمله وولده وماله آمـين .